

الإتباع في اللغة

للدكتور علي حسن البواب
كلية اللغة العربية - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين، وبعد،
فللعربية كثير من الخصائص اللغوية، وللعرب أساليب لتقوية الكلام وتوكيده
وتزيينه، وعبارات تدلّ على الفصاحة، وتنمّ عن البلاغة والبراعة، من ذلك ما
عرف بـ (الإتباع)، وهو من سنن العرب في كلامهم، ومما أثر عنهم، وفي هذا
البحث حديث عن هذه الظاهرة اللغوية:

الإتباع لغة واصطلاحاً:

تدل مادة "تبع" في اللغة على التلّو والقّفو، يقال: تبع فلان فلاناً، يتبعه، تبعاً،
وتبّاعه، وتبوعاً، وتبّاعاً: مشى خلفه وسار في إثره، وتلاه. ويقال: تابعه، وتتبعه،
واتّبعه. والتابع والتبّيع: التالي للشيء، الموالي له^(١).

وورد هذا الأصل ومشتقاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة: قال الله
تعالى: ((فمن تبع هُداي))^(٢) وقال عزّ وجل: ((يا قوم اتّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ))^(٣)، وقال:

(١) ينظر الصحاح، والمقاييس، واللسان، والمفردات - تبع.

(٢) سورة البقرة: ٣٨.

(٣) سورة يس: ٢٠.

((وما أنت بتابع قبلتهم))^(٤)، وقال: ((إنا لكم تبعاً))^(٥) وقال: ((ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ علينا به تَبِيعاً))^(٦).

فالإتباع في اللغة: مصدر أتبع الشيء الشيء: ألحقه به وجعله تالياً له. أما في الاصطلاح فأوضح تعريف له ما ذكره أحمد بن فارس: "وهو أن تُتَّبَعَ الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتوكيداً"^(٧). ومن ذلك: حَسَنَ بَسَنَ، وقَسِيمَ وسِيمَ، وشيطانَ ليطانَ.

أما الغرض من استعماله فيتضح فيما رواه ابن الأعرابي، أنه سأل العرب عن الإِتباع فقالوا: "هو شيء نَتَدُّ به كلامنا"^(٨) "أي: نشدّه ونقويّه".

وقال الآمدي: "التابع لا يفيد معنى أصلاً، ولهذا قال ابن دريد:^(٩) سألت أبا حاتم عن معنى "بَسَنَ"^(١٠) فقال: لا أدري ما هو. قال السبكي: والتحقيق أن التابع يفيد التقوية؛ فإنَّ العرب لا تضعه سدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضرّ، بل مقتضى قوله إنه لا يدري - معناه أن له معنى وهو لا يعرفه"^(١١).

وقال الرضي الأستراباذي عن الإِتباع: "وهو على ثلاثة أضرب: فإنّه إمّا أن يكون للثاني معنى ظاهر، نحو: هنيئاً مريئاً، وهو سرير، أو لا يكون له معنى

(٤) سورة البقرة: ١٤٥.

(٥) سورة إبراهيم: ٢١.

(٦) سورة الإسراء: ٦٩.

(٧) الصاحبى: ٤٥٨.

(٨) ينظر الأمالي لثعلب: ٨/١، والصاحبى ٤٥٨.

(٩) الجمهرة: ٤٢٩/٣.

(١٠) من قولهم "حسن بسن".

(١١) المزهر: ٤١٥/١، ٤١٦، وينظر المحصول للرازي ٣٤٨/١، وشرح الكوكب المنير لابن

النجار ١٤٣/١.

أصلاً؛ بل ضُمَّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً، وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى، نحو: حَسَنَ بَسَنَ قَسَنَ، أو يكون له معنى متكلّف غير ظاهر، نحو: خبيث نبيث، من نبث الشيء: أي استخرجه".^(١٢)

بحث العلماء للإتباع وآراؤهم فيه:

كان لعلماء العربية جهود في دراسة الإتباع - من منطلق عنايتهم بالعربية، وحرصهم على بحث قضاياها وظواهرها، وقد تباينت مواقفهم من الموضوع، واختلفت نظراتهم وآراؤهم فيه، ونذكر هنا أن ألفاظ الإتباع رويت ونقلت عن أئمة العربية وعلمائها، منهم اليزيدي، واللحياني، والأحمر، وأبو مالك عمرو بن كزكرة، وأبو زيد، ويونس، والأصمعي، والخليل، وابن الأعرابي، وأبو عمرو الشيباني، والكسائي، والفراء، وقطرب، وأبو عبيد، وأبو عبيدة، وغيرهم. كما نذكر أن أوائل المؤلفين في العربية عرضوا للإتباع، فمنهم من اقتصر على إيراد ألفاظه أو أشار إليه دون تفصيل أو تحديد، ومنهم من خصّه بمباحث وأبواب، وقليل منهم من أفرد له كتاباً.

ونتحدث فيما يلي عن جهود علماء العربية على اختلاف اتجاهاتهم ونظرتهم للإتباع، نتبيّن دورهم في بحثه وآراءهم فيه:

ففي كتاب "العين" للخليل بن أحمد - وهو من أقدم المؤلفات اللغوية - تنتثر ألفاظ الإتباع، يعلّق الخليل على بعضها مشيراً إلى شيء من ملامح الباب، وينقل بعضها دون تعليق: قال: "والنوع: الجوع، ويقال: العطش، وبالعطش أشبه لقول العرب: عليه الجوع والنوع، وجائع نائع، ولو كان الجوع نوعاً لم يحسن تكريره. وقال آخر: إذا اختلف اللفظان كرروا المعنى واحد".^(١٣)

(١٢) شرح الكافية: ٣٣٣/١.

(١٣) العين: ٢٥٧/٢.

وقال: "وتقول: حيّك الله وبيّك، أي: أفرحك وأضحكك، ويقال: بيّك تقوية لحيّك".^(١٤) ونقل: "ورجل حوّاس عوّاس: طّلاب بالليل".^(١٥)

وفي "الكتاب" إشارات إلى بعض مسائل الإِتباع، قال سيوييه: "وهذا حرف لا يُتكلّم به مفرداً إلا أن يكون على "ويلك، وهو قولك: ويلك وعولك، ولا يجوز: عولك".^(١٦)

وقال: "ولا تقول: عَوْلَةٌ لك إلا أن يكون قبلها: ويلة لك، ولا تقول: عول لك حتى تقول: ويل لك؛ لأنّ ذا يتبع ذا، كما أنّ ينوؤك يتبع يسوؤك، ولا يكون يسوؤك مبتدأ".^(١٧)

ونلمح من كلام سيوييه الإشارة إلى الإِتباع، وأنّه لا يفرد، بل يكون ملحقاً بما قبله متّصلاً به.

ونخطو خطوات لنصل إلى أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفّى سنة ٢٢٣هـ، وهو من أئمة العربية، فنجده يقدم مباحث جيدة في موضوعنا هذا. ففي معجمه القيم "الغريب المصنّف" يقعد أبو عبيد باباً للإِتباع، ينقل فيه أمثلة إِتباعية عن أبي زيد، والكسائي، والفراء وغيرهم، منها: "أحمق فاكّ تاكّ،

(١٤) المصدر السابق: ٣/٣١٨.

(١٥) المصدر نفسه: ٣/٢٧٠.

(١٦) الكتاب: ١/١٦٠.

(١٧) المصدر السابق: ١/١٦٧.

وضالّ بالّ، وما له عافطة ولا نافطة، يقول: العافطة: العنز تعطف، تضطرّ،
والنافطة إتباع.....^(١٨)

وفي كتابه "غريب الحديث" يتعرض للموضوع، ونراه وهو ينقل الحديث عن
"الشيرم"^(١٩): (إنه حارّ جارّ) يقول: "وبعض الناس يروونه (حارّ يارّ) وهو أكثر" ثم
قال: "وقال الكسائي وغيره: الحرّ من الحرارة، ويارّ إتباع، كقولهم: عطشان
نطشان، وجائع نائع، وحسن بسن، ومثله كثير في الكلام، وإنما سمّي إتباعاً لأن
الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بها منفردة،
فلهذا قيل: إتباع".^(٢٠)

وقال: "وقال بعض الناس في (بيّاك)^(٢١) إنما هو إتباع، وهو عندي على ما
جاء تفسيره في الحديث أنه ليس بإتباع، ذلك أنّ الإِتباع لا يكاد يكون بالواو، وهذا
بالواو".^(٢٢)

وفي موضع آخر من الكتاب - في حديث العباس وابنه عبدالله - رحمهما الله -
في زمزم: (لا أحلّها لمغتسل، وهي لشارب جِلّ وبلّ) قال: "فأما قولهم (بلّ) فإن
الأصمعي قال: كنت أقول في (بلّ) إنه إتباع كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع،

(١٨) الغريب المصنف من أقدم وأحسن معجمات المعاني، ولا يزال مخطوطاً على كثرة نسخه،
وقد رجعت إلى نسخة مصورة في مكتبة جامعة الإمام - ف ٣٢٤، وهي غير مرقّمة
الصفحات، والباب باختصار في المزهري ٤١٩/١.

(١٩) وهو حبّ كالعَدَس - القاموس - شيرم.

(٢٠) غريب الحديث: ٢٧٨/٢.

(٢١) أي في (حيّاك الله وبيّاك).

(٢٢) غريب الحديث: ٢٨٠/٢.

حتى أخبرني معتمر بن سليمان^(٢٣) أنّ (بلا) في لغة حمير: مباح. قال أبو عبيد: وهو عندي على ما قاله؛ لأنّنا قلّ ما وجدنا الإتياع يكون بواو العطف، وإنما الإتياع بغير واو، كقولهم: جائع نائع، وعطشان نطشان، وحسن بسن، وأشباه ذلك إنما يتكلّم به من غير واو، فإذا جاءت واو العطف فهي من كلمة أخرى".

قال: "وقد كان بعض النحويين يقول في حديث آدم عليه السلام، إنّهُ لما قتل أحد ابنيه أخاه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثم قيل له: (حيّاك الله وبيّاك) قال: وما بيّاك؟ قال: أضحكك، يبيّن لك أنه ليس بإتياع، إنما هي كلمة أخرى. قال: ويقال: إنّ بلاّ شفاء، كما يقال: قد بلّ الرجل من مرضه واستبلّ، إذ برأ".^(٢٤)

ويلحظ هنا عناية أبي عبيد ومن نقل عنهم بالموضوع، وأن الإتياع مقيد بكون الكلمة الثانية لا يتكلّم بها مفردة، وأن لا يكون بين الكلمتين واو عطف، فإن كان للتانية معنى وتفرد في الكلام، أو كان بينهما الواو فليس بإتياع.

وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري - عصر الازدهار اللغوي - وجدنا المبحث ينال من الدراسة نصيباً، وبلتفت إليه علماء العصر والمؤلفون.

فأبو إسحق الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ - له رأي في الإتياع نقله عنه ابن سيده، يتلخّص في أنّ اللفظة لا تعدّ إتياعاً إلا إذا كانت مما لا يفرد في الكلام ولا يفصل، وهذا لا يختلف عمّا نقلنا آنفاً عن علماء العربية:

قال أبو إسحق في (قسيم وسيم): "ليس وسيم" إتياعاً لـ "قسيم" كما أن قولهم (مليح صبيح) ليس صبيح إتياعاً لمليح، وإنما يكون اللفظ مقضياً عليه بالإتياع إذا لم يكن يفصل، كقولهم: (عطشان نطشان) فنطشان لا يفصل من عطشان، ولذلك

(٢٣) توفي سنة ١٨٧ هـ، كان محدّث عصره، من كبار العلماء وثقاتهم، ينظر سير أعلام النبلاء: ٤٢٠/٨.

(٢٤) غريب الحديث: ٢٦/٤-٢٩.

قيل في نحو هذا إبتاع، لأنه لا معنى له إذا جيء به وحده، فأما وسيم فقد جاء دون قسيم^(٢٥).

وقال في (مضيع مسيع، وضائع سائع): "ليس مسيع إبتاعاً لمضيع، ولا سائع إبتاعاً لضائع، فإنهم يقولون: ضاعت الناقة وساعت، وناقاة مضياع ومسياع، وقد ساءت تسوع، إنما غرّ من قال إنّه إبتاع قولهم: مسياع، وأصله من الواو، فتوهّموا أنهم قلبوها ياءً إبتاعاً لمضياع، كيف وهم يقولون: مسياع مضياع، فيقدمون مسياعاً على مضياع".^(٢٦)

فالإبتاع عنده ما كان لتقوية المعنى ولا يفصل عن متبوعه، وهو أحد الأقوال في الباب.

ودلا أبو بكر بن دريد الأزدي - توفي سنة ٣٢١هـ - بلدوه مع الباحثين في أمثلة إبتاعية، وقال بعد نقل عدد منها: "فهذه الحروف إبتاع لا تفرد" ثم قال: "وتجيء أشياء يمكن أن تفرد". فهو لا يشترط أن تكون الألفاظ الإبتاعية مما يجب عدم إفراده، وإن كان ذلك هو الأكثر عنده وفيما أورد من الأمثلة. كما أن في ثنايا الجمهرة أمثلة للإبتاع.^(٢٨)

وفي آخر مخطوطة "الإبتاع والمزاوجة" لابن فارس نقل ناسخها عن ابن دريد:^(٢٩) أن من كلامهم الإبتاع والمزاوجة والقلب والإبدال: فالإبتاع يكون بلا واسطة ولا حرف، كقولهم: (حسن بسن) ونحوه، والمزاوجة بالحرف كقولهم: (هان

(٢٥) المخصص: ٣٠/١٤.

(٢٦) المصدر السابق: ٣١/١٤.

(٢٧) الجمهرة: ٤٢٩/٣-٤٣١.

(٢٨) ينظر الجمهرة: ٢٩٢/١، ٣٠١، ٢٠٨/٣.

(٢٩) في تشريبيتي - رقم ٤٦٢٤، كتبت سنة ٦٢٧هـ.

ولان)، وهذا الرأي موافق لما نقلنا قريباً عن أبي عبيد من اشتراطه أن يكون الإتياع بغير الواو.

وفي "الأمالي" لأبي علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ - باب واسع للإتياع، أورد فيه أمثلة كثيرة من ألفاظه، وقام بتفسيرها وشرحها: (٣٠)

بدأ أبو علي الباب بقوله: "الإتياع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً، لأن لفظه مخالف للفظ الأول. وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول". (٣١)

قال: "فمن الإتياع قولهم: أسوان أتوان في الحزن، وأسوان من قولهم: أسى الرجل يأسى، أسى: إذا حزن، ورجل أسيان وأسوان، أي حزين. وأتوان: من قولهم: أتوته، آتوه: بمعنى أتته آتبه، وهي لغة لهذيل... فمعنى قولهم: أسوان أتوان: حزين متردد، يذهب ويجيء من شدة الحزن". (٣٢) "ويقولون: عطشان نطشان، فنطشان: مأخوذ من قولهم: ما به نطيش: أي ما به حركة، فمعناه: عطشان قلق". (٣٣)

وقال: "ويقولون: شيطان ليطان، فليطان مأخوذ من قولهم: لاط حبه بقلبي، يلوط ويليط: أي لصق... فمعنى شيطان ليطان: شيطان لصوق...". (٣٤)

(٣٠) الأمالي ٢١١/٢-٢٢٢. وقد نقل ابن سيده في المخصص ٢٨/١٤-٣٧ الباب عن القالي، ولم يشر إلى مصدره، وأضاف رأي الزجاج الذي نقلناه قريباً، كما نقل - ص ٣٨ عن الجمهرة.

(٣١) الأمالي: ٢١١/٢.

(٣٢) المصدر السابق: ٢١١/٢.

(٣٣) المصدر نفسه: ٢١٢/٢.

(٣٤) المصدر والصفحة السابقة.

فهذه أمثلة مما فسّر فيه القالي الثاني بمعنى مغاير للأول، وهو إتباع - وإن كان له معنى. ومما فسّر فيه أبو علي الثاني بمعنى الأول:

"ويقولون" كثير بثير، فالبثير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بئر: أي كثير، فقالوا: بثير لموضع كثير". (٣٥)

وقال: "ويقولون: ضئيل بثيل، فالبئيل هو الضئيل. قال أبو زيد: يؤل الرجل بآلة: إذا ضؤل". (٣٦) ومنه: "ويقولون: عكّ وأكّ، فالعكّ والعكّة والعكيك: شدة الحرّ. والأكّ والأكّة: الحرّ المحتم. يقال: يوم ذو أكّ...". (٣٧)

وقال: "ويقال: إنّه لمُعِفَتِ مُلْفِت، فالمعفت الذي يُعَفَت الشيء: أي يدقّه ويكسره، ويقال: عفت عظمه: إذا كسره، والملفت مثله في المعنى...". (٣٨)

فالمبحث قيم عند القالي، لم يقتصر فيه المؤلف على عرض الأمثلة - ككثير من العلماء، بل تجاوز ذلك إلى تفسير الألفاظ، وهو يبيّن إن كان الثاني بمعنى الأول أو مخالفاً له، والأول سمّاه العلماء توكيداً، وهو موافق لهم في ذلك، إلا أنّ التأكيد عنده من الإتياع.

وكان أبو الطيب اللغوي - عبدالواحد بن علي الحلبي - توفي سنة ٣٥١ هـ - ثاني عالمين ألفا في الإتياع (٣٩) فيما وصلنا - وخصّاه بكتابين مستقلين: (٤٠)

(٣٥) المصدر السابق: ٢/٢١٤.

(٣٦) المصدر والصفحة نفسها.

(٣٧) المصدر نفسه: ٢/٢١٩.

(٣٨) المصدر نفسه: ٢/٢٢٢.

(٣٩) حقّق المرحوم عزّ الدين التنوخي الكتاب عن نسخة فريدة تنقص جزءاً من المقدمة، وقدّم له بمقدمة نافعة، وشرح ألفاظه، وعلّق عليه تعليقات قيمة، وجمع في آخره عدداً من ألفاظ الإتياع.

حدّ أبو الطيب الإتياع: بما لا يصحّ أن يفرد وحده. فإذا كان للفظ معنى لكّنه لا يُفرد، أو لم يكن له معنى فهو الإتياع، أما إذا كان له معنى بحيث يمكن إفراده فلا يرد عنده في الإتياع، وهو إلى جانب ذلك لا يعتدّ بالواو، فسواء أكانت الكلمة بالواو أم بغيرها - فهي إتياع إن توافر فيها ما سبق، قال في الجزء الموجود من المقدمة: "يقولون: هذا جائع نائع، فهو عندهم إتياع، ثم يقولون في الدعاء على الإنسان: جوعاً ونوعاً: فيدخلون الواو، وهو مع ذلك إتياع، إذ كان مُحالاً أن تكون الكلمة مرة إتياعاً ومرة غير إتياع، فقد وضح أن الاعتبار ليس بالواو".^(٤١)

رتّب أبو الطيب الكتاب على حروف المعجم، مراعيّاً أصول حروف الإتياع، ف: بسلاً أسلا - في الهمزة، و: لحمه خطا بظا - في الباء، وإنه لسَهْدُ مهد - في الميم... وهو يقسم ألفاظ كلّ حرف قسمين: باب الإتياع من الحرف، وباب التوكيد منه، فهو يفصل بين الإتياع والتوكيد فصلاً واضحاً ويجعل لكلّ سماتِهِ كما سنرى: فمن الإتياع: "تقول العرب في صفة الشيء بالشدة: إنه لشديد أديد، وهو من الأدد، والأدّ: القوة، إلا أنّ الأديد لا يفرد".^(٤٢)

"ويقال: شحيح أنيح، من قولهم: أنح بحمله، يأنح، أنوحاً: إذا تزحّر^(٤٣) به من ثقله، ولا يفرد الأنيح"^(٤٤). ومنه: "ويقال: مكان عمير بجير، فالعمير من العمارة، فعيل بمعنى مفعول، وبجير إتياع".^(٤٥)

(٤٠) والكتاب الثاني لابن فارس - سيأتي - وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ٦٤ أن لأبي حاتم كتاباً في الإتياع.

(٤١) الإتياع: ٣.

(٤٢) المصدر السابق: ٤.

(٤٣) تزحّر كزحر: أصدر أئيناً.

(٤٤) الإتياع: ٧.

(٤٥) المصدر السابق: ٢٠.

ومنه: "تقول العرب: لا بارك الله فيه ولا تارك، ولا يقولونه إلا هكذا، فهو وإن كان مأخوذاً من الترك فلا معنى له في هذا الموضع إلا الإلتباع".^(٤٦)

وأورد في الكتاب: "ويقال: قضى الله كل حاجة وداجة بالتخفيف، وقد أقبل الحاج والداج بالتشديد، وزعموا أنّ الداج الذين يدجون خلف الحاج، أي يدبون بالتجارات وغيرها، ولا يفرد الداج".^(٤٧) وفي الكتاب: "وقال أبو عمرو: يقال: رجل طَبَّ لَبَّ، وهو العالم، واللَّبَّ من قولك: رجل لبيب، واللبيب: العاقل، إلا أنه لا يقال رجل لبّ مفرداً، فلذلك جعلناه من الإلتباع".^(٤٨)

ومما ذكره في الإلتباع: "يقال: هو قبيح شقيح، بين القباحة والشقاحة، وقد قبح وشقح، وهو من قولهم: شقَّح البسر، يشقح، تشقياً: إذا تغيرت خضرتة ليحمر أو ليصفر، وهو أقبح ما يكون حينئذ، ولا يستعمل شقيح إلا في هذا الموضع، فلهذا ذكرناه في الإلتباع... وأما قولهم: اذهب مقبوحا مشقوحا فمعناه: مكسوراً، ويقال: قبحته، أقبحه، قبحاً: أي كسرتة، وكذلك: شقحته، أشقحه، شقحاً، وهذا من التوكيد لا من الإلتباع".^(٤٩)

وإذا انتقلنا إلى القسم الثاني عنده - وهو التأكيد - وجدناه يورد فيه: "يقال: فرّ وله كصيص وأصيص وبصيص من الفزع، وكلّه بمعنى الصوت الضعيف".^(٥٠) وفيه: "وقال الفراء: يقال: رجل صيَّاح تيّاح، قال: والتياح والصياح واحد".^(٥١)

(٤٦) المصدر نفسه: ٢٨.

(٤٧) المصدر نفسه: ٤١.

(٤٨) المصدر نفسه: ٧٧.

(٤٩) المصدر نفسه: ٥٥-٥٧.

(٥٠) المصدر نفسه: ٢١.

(٥١) المصدر نفسه: ٣٣.

وفي توضيح الفرق بين الإتياع والتوكيد نذكر قوله: "ويقال في الدعاء على الرجل: جُوعاً له وجُوداً وجُوساً، فالجود هو الجوع بعينه، وقولهم: جوساً إتياع، هذا قول، وقد قيل: الجوس: الجوع أيضاً، فإن كان هذا ثبناً فهو من التوكيد لا من الإتياع".^(٥٢)

ومن التوكيد الذي أوله راء: "ويقال: ضبّ سبّحل ربحل، وكلاهما الطويل الضخم، وكذلك فحل سبّحل ربحل".^(٥٣)
وذكر في التوكيد: "إنه لطبيب لبيب".^(٥٤)

وهكذا فمناطق التفرقة بين الإتياع والتوكيد مبني على إمكان إفراد الثاني أو عدمه، فالإتياع ما لا يفرد، فإن صحّ إفراده كان توكيداً، ولا اعتداد بغير هذا القيد عند أبي الطيب.

أما العالم الثاني الذي ألف كتاباً في الإتياع فهو أبو الحسين أحمد بن فارس - توفي سنة ٣٩٥ هـ قد سمى كتابه الإتياع والمزوجة^(٥٥). وقيل الحديث عن الكتاب نشير إلى بعض الملحوظات عليه: فالمؤلف لم يعرف الإتياع أو المزوجة، ولم يذكر الفرق بينهما، وكان يورد العبارات مختلطة كما سنرى، وابن فارس هو الذي نقلنا عنه في أول البحث تعريفه للإتياع من كتابه الصحابي.

وقد رتب ابن فارس الكتاب على حروف المعجم، من باب الياء إلى حروف العلة، ولكنه راعى آخر الحرف من لفظ الإتياع لا أوله كما عند أبي الطيب، فتركت فلاناً سادحاً رادحاً - في الحاء، وسدمان ندمان في الميم...

(٥٢) المصدر نفسه: ٣٥.

(٥٣) المصدر نفسه: ٤٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ٨٢.

(٥٥) اعتمدت هنا على الطبعة التي صدرت سنة ١٩٤٧م بعناية كمال مصطفى.

بدأ ابن فارس الكتاب بقوله: "هذا كتاب الإتياع والمزاوجة، وكلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتان على رويّ واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويَّان ثم تكون بعد ذلك وجهين: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف إلا أنها كالإتياع لما قبلها، والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق".^(٥٦)

ومما نصَّ على أنه إتياع: "يقال: تُعَدُّ معد: إذا كان غضّاً ، مَعْدُ إتياع".^(٥٧)

وقال: "ويقولون: تاعس واعس، من التعس، وقد يقال: ناعس واعس، من النعاس، والواعس إتياع".^(٥٨) ومنه: "ويقال: هو عَيِّي شَيِّي، وما أعياه وأشياه، وكان من عَيِّ وشي، فالعي معروف والشَيِّ إتياع".^(٥٩)

ومما ذكره ابن فارس: "ويقال: خَرَاب يَبَاب، وقد يفرد اليَبَاب، قال عمر بن أبي ربيعة:

كَسَتِ الرِّياحُ جَدِيدَهَا مِنْ تُرْبِهَا دُقَقًا، وَأَصْبَحَتِ العِرَاصُ يَبَاب
فهذا إتياع إلا أنه أفرده"^(٦٠).

ومما أشار فيه ابن فارس إلى "التوكيد" ما نقله عن الأصمعي: "لا آتيك سجيس عجيس، أي الدهر، وسجيسه: آخره، ومنه قيل للماء الكدر: سجيس، لأنه آخر ما يبقى والعجيس تأكيد، وهو في معنى الآخر".^(٦١)

(٥٦) الإتياع والمزاوجة: ٢٨.

(٥٧) المصدر السابق: ٤٠.

(٥٨) المصدر السابق: ٤٩.

(٥٩) المصدر السابق: ٦٩.

(٦٠) المصدر نفسه: ٢٩.

(٦١) المصدر نفسه: ٤٩.

ويتضح أنه يغلب على الإلتباع عنده ما لا يفرد التابع، أو ما يكون له معنى مختلف عن المتبوع، أما إن وافقه فهو توكيد.

ونقل ابن فارس في الكتاب أمثله للمزوجة وأمثالا للعرب، وغير ذلك:

قال: "ومن المزوج" ما له هارب ولا قارب"، أي ما له صادر عن الماء ولا وارد، ومنه قولهم عند المبالغة: "لا شوب ولا روب، ولا شيب ولا عيب".^(٦٢)

"ومن المزوج قولهم: "نعوذ بالله من التَّرح بعد الفرح" الترح: التتغيص".^(٦٣)

"ومن المزوجة قولهم فيمن ينفع مرة ويضر مرة: "هو جيش مرة وعيش مرة".^(٦٤) ويقولون في أسجاعهم: "من شاخ باخ"^(٦٥).

"ومن الأسجاع - وليس من الباب - ما عنده خير ولا مير".^(٦٦)

وهكذا يمتلئ كتاب ابن فارس بالعبارات التي ينص أحيانا على كونها إتباعاً أو مزوجة، ويسكت في أكثر الأحيان.

وقد ذكر السيوطي في المزهرة الكتاب وقال: "وفاته أكثر ممّا ذكره، وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه ما فاتته في تأليف لطيف سمّيته "الإلماع في الإلتباع".^(٦٧) ولا نعرف شيئاً عن كتاب "الإلماع"، رغم عناية الباحثين كثيراً بمؤلفات السيوطي ومحاولات حصرها. وقد أورد السيوطي في المزهرة ألفاظاً من الإلماع،

(٦٢) المصدر نفسه: ٣١.

(٦٣) المصدر نفسه: ٣٦.

(٦٤) المصدر نفسه: ٥١.

(٦٥) المصدر نفسه: ٣٨.

(٦٦) المصدر نفسه: ٤٣.

(٦٧) المزهرة: ٤١٤/١.

يبدو منها أنه جرد الكتاب مما ليس إتباعاً، كالمزوجة، والأمثال والأسجاع وغيرها، واقتصر على ما شاع بين العلماء أنه إتباع.^(٦٨)

ولا نجد بعد القرن الرابع عملاً مميزاً في بحث الموضوع، ولم يزد المتأخرون شيئاً ذا بال إلى الموضوع، وأحسن ما يذكر في هذا المجال ما قدّمه السيوطي في المزهري، فقد جعل النوع الثامن والعشرين من أنواع اللغة للإتباع^(٧٠)، نقل فيه كدأبه من الكتاب - آراء العلماء في الموضوع، وأمثلة إتباعية عن عدد من المراجع، إضافة إلى تأليفه "الإلماع" كما مرّ.

الخلاصة ومعالم الإتباع:

رأينا فيما سبق عناية علماء العربية بالإتباع واهتمامهم به، وقد اتفقوا على أن الإتباع أن تلي الكلمة كلمة أخرى، وأن الغرض منه تقوية الكلام وتوكيده، ولكنهم اختلفوا في معالمه وقبوده: منهم من يشترط في التابع ألا يكون ممّا يفرد في الكلام، أو ممّا لا معنى له، أو له معنى متكلف، ومنهم من لا يشترط ذلك ويعدّ اللفظ إتباعاً ولو صحّ إفراده وأمكن فصله عن المتبوع، أو كان له معنى بيّن، ثم إنّ من العلماء من حاول إخراج ما عُطف بالواو، وأكثرهم لم يلتفت إلى ذلك.

(٦٨) ما ذكرنا يمثل جهود أشهر علماء العربية في بحث الموضوع، ومن كان لهم دور بارز في درسه، وقد نقل كثرة من العلماء في تلك الفترة ألفاظاً إتباعية، من ذلك ما نجده في: التقيّة للبندنجي، والزاهر لابن الأنباري، وديوان الأدب للفارابي، وتهذيب اللغة للأزهري والصحاح، المقاييس، وغيرها. أما بعد القرن الرابع فنجد الثعالبي ينقل عبارات الصحابي، وابن سيده كما سبق - نقل كلام القالي وابن دريد، ثم نلاحظ بعد ذلك تناثر العبارات الإتباعية في كتب الأمثال كمجمع الأمثال، والمستقصى، ومعجمات العربية كاللسان والتاج.

(٧٠) المزهري ٤١٤/١-٤٢٥.

وللاِِتِّبَاعِ - سواء أخذنا برأى المقيدّين أم برأى المتوسعين فيه - صور وأشكال
يُرد عليها، فقد يكون التابع اسماً، أو فعلاً، أو جملة:

يقال: "بَسْلاً له وأسلاً، أي حرام محرّم." (٧١)

ويقولون: "إنه لجميل بكيل." (٧٢)

وقالوا: "رجل حاذق باذق." (٧٣)

ومن أمثلة الإِتِّبَاعِ غير الاسمية قولهم: حَظِيْتُ المرأة عند زوجها وبَظِيْتُ. (٧٤)

ويقال: "أرغمه الله وأدغمه." (٧٥)

وقال أبو زيد: "سمعت بني أسد يقولون: ما يَلِيْقُ بك الخير وما يَعِيْقُ." (٧٦)

والإِتِّبَاعِ لا يشترط أن يكون بكلمة واحدة، فقد يكون التابع أكثر من كلمة:

قال أبو مالك: "يقال حارّ يارّ جارّ، ويقال: رجل حرّان يرّان جرّان: إذا أصابته

مصيبة." (٧٧)

ويقال في الكثرة: "إنه لكثير بثير بذير عفير، وعمير أيضاً، يوصف بها كلّها

الكثرة." (٧٨)

(٧١) الإِتِّبَاعِ: ٥.

(٧٢) المصدر السابق: ١٣.

(٧٣) المصدر نفسه: ٢٠.

(٧٤) الغريب المصنف، والإِتِّبَاعِ: ١٩، والمزهر: ٤١٩/١.

(٧٥) الإِتِّبَاعِ: ٤١، والأُمالي: ٢١٩/٢.

(٧٦) الإِتِّبَاعِ: ٦٣.

(٧٧) المصدر السابق: ٦٢، والأُمالي: ٢١٧/٢.

(٧٨) الإِتِّبَاعِ: ٦٢.

ويقال: "إنه لَحَسَنٌ بسن قسن وإنه لبين الحُسن والبِسانة والقِسانة".^(٧٩)

التابع والمتبوع على وزن واحد:

ذكر بعض العلماء أن التابع يكون على زنة متبوعه، من ذلك ما نقلنا عن ابن فارس من تعريفه الإِتباع: "أن تُتَّبَع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها"^(٨٠)، وقول الرضي: "ويجب أن يُراعى تجانس اللفظين في باب الإِتباع بما يمكن"^(٨١)، وقال السبكي: "فالتابع شرطه أن يكون على زنة المتبوع."^(٨٢)، وفي شرح الكوكب المنير: وهو - أي التابع - على زنة متبوعه، حتى لو وُجد ما ليس على زنته لم يحكم بأنه من هذا الباب.^(٨٣)

والحقيقة أن هذا الشرط أغلبه وليس واجباً، فأكثر ما روي من الأمثلة الإِتباعية يصدق عليها هذا القيد - فالتابع على زنة المتبوع ورويّه، ولكن ذلك لا ينفي ورود القليل مما لم يلتزم به ذلك، فمقدمة ابن فارس للإِتباع التي نقلناها جاء فيها أن الكلمتين قد تكونان على رويّ واحد أو مختلفتين، وهو مخالف لما حدّه به في الصاحبى.

فما ورد في الإِتباع غير موافق لمتبوعه زنة ورويّاً، ما جاء في كتاب أبي الطيب: "أعطاء عطاء وَتُحَا شَقِنَا، وَوَتِيحَا شَقِنَا، كلّ ذلك يُومأ به إلى القِلّة"^(٨٤).

(٧٩) المصدر السابق: ٧١.

(٨٠) الصاحبى: ٤٥٨.

(٨١) شرح الكافية: ٣٣٣/١.

(٨٢) المزهر: ٤١٥/١.

(٨٣) شرح الكوكب المنير: ١٤٥/١.

(٨٤) الإِتباع: ٥٨، والجمهرة ٤٣٠/٣، والأمالى ٢١٧/٢.

ويقال "له الويل والأليل، وله الويل والأويل، ولا يُفرد الأليل ولا الأويل في معنى الويل".^(٨٥)

وفيه: "يقال في الدعاء على الرجل: جوعاً له وجُوداً وجُوساً، فالجود هو الجوع بعينه، وقولهم: جوساً - إتياع."^(٨٦)

وفي الجمهرة - فيما يفرد من الإتياع: "جديد قشيب"، وذكره أبو الطيب في التوكيد. ومثل ذلك كثير من الألفاظ التي نقل أبو الطيب في التوكيد - لا الإتياع - لا يأتي على وزن المؤكد، كقولهم: "قليل حقير" و"قليل نذير"، و"ما به نطيش ولا نوبص"^(٨٨).

والذي نخلص إليه من هذا أن أكثر أمثلة الإتياع جاءت مطابقة للمتبوع زنة، موافقة له رويّاً.

تغيير الألفاظ لتحقيق الموافقة:

ومن أجل ما سبق من كثرة المطابقة بين التابع والمتبوع فقد حدث تغيير في التابع، وهو ما يمكن أن يطلق عليه الضرورات النثرية، وقد عُرف هذا في أقوال العرب وأمثالهم، من ذلك قولهم: "كلُّ ساقطةٍ لاقطة"، فمما قيل في المثل: أن الأصل: لكل ساقطة لاقط، قال المفضل بن سلمة: "فأدخل الهاء لمكان ساقطة لاذواج الكلام."^(٨٩)

(٨٥) الإتياع: ٨.

(٨٦) المصدر السابق: ٣٥.

(٨٧) الجمهرة ٣/٤٣٠، والإتياع: ٧٢.

(٨٨) ينظر الإتياع: ٣٩، ٩٩، ١٠٠.

(٨٩) الفاخر ١٠٩.

ومن أمثلة هذا قولهم: "لا دريت ولا تليت، ويروى: ولا ائتليت"، قال المفضل:
"ويقال: معناه: لا دريت ولا تلوت، أي: ولا أحسنت أن تتلو، فقلبوا الواو ياء
للإزدواج".^(٩٠) وقالوا: "هو رِجْسٌ نِجْسٌ" قال ابن الأنباري: "الرِجْسُ: النتن...
والنِجْسُ بمعنى النَّجْسِ، إنما تكسر نونه إذا جاء بعد رِجْسٍ، فإذا أفرِد قيل: نِجْسٌ
ولم يقل نِجْسٌ".^(٩١)

وذكر الزجاج في "ناقة مضياع مسياع": "وإنما قالوا: مسياع وأصله مسواع، لأنه
من ساع يسوع - على وجهين: إما أن يكون معاقبة، وقد سمعنا بناقة مسواع، وإما
أن يكون شاذاً".^(٩٢)

وفي قولهم "حياك الله وبياك" أقوال للعلماء، منها ما نقل عن الأحمر: أراد: بوأك
منزلاً، فقالوا بياك لإزدواج الكلام ليكون تابعاً ل: حياك، كما قالوا: جاء بالعشايا
والغدايا يريدون: بالغدوات، وقالوا الغدايا للإزدواج.^(٩٣)

وفي شرح الكافية: "ويجب أن يُراعى تجانس اللفظين بما يتمكن، فهذا قلبوا واو
"بؤص" ياء وأصله: حيص بيبص".^(٩٤)

وقال القالي: "ويقولون: عيّي شبيّي، وشبيّي أصله شويّي، لكنه أجرى على لفظ الأول
ليكون مثله في البناء".^(٩٥)

(٩٠) الفاخر ٣٨، وينظر الإتياع: ٣٠.

(٩١) الزاهر ٢/٢١٣، وينظر الإتياع: ٥٨.

(٩٢) المخصص ٣١/١٤.

(٩٣) الفاخر ٢.

(٩٤) شرح الكافية ٣٣٣/١.

(٩٥) الأمالي ٢/٢١٢، وينظر الإتياع ٥٨.

ونقل أبو الطيب عن الفراء: "ويقال: أتيتُه فمَنّاني وهنّاني، غير مهموز، وهو إبتاع."^(٩٦) والذي يلحظ هنا تسهيل همزة "هنّاني" ليوافق "مَنّاني".

وقال أبو الطيب: "ويقال: إنه لذو جُود وسُود، فقال قوم: هو إبتاع، وقال آخرون: إنما أرادوا به: ذو جود وسُودد، فأسقطوا إحدى الدالين ليكون على وزن جود."^(٩٧)

ومن الإبتاع: "كثير بثير" قال القالي: "قالبثير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بثر: أي: كثير، وقالوا بثير لموضع كثير، كما قالوا: مُهرة مأمورة وسكة مأبورة، وإنّي لآتية بالгдаيا والعشايا."^(٩٨)

ونقل أبو الطيب في التوكيد: "ويقال: رجل مليّ وفيّ"^(٩٩)، وقد ذكر في اللسان: ملؤ الرجل، يملؤ ملاءة، فهو مليء. ثم قال: وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء.^(١٠٠)

والمثل التي نقلنا - ومثلها كثير - تبين لنا ما حدث في الألفاظ من تغيّر في الضبط أو قلب حروف العلة، أو تسهيل الهمز، أو تغيير الصيغة - كلّ ذلك لأجل أن يكون التابع والمتبوع متناسبين وقعاً، مؤثرين معنى.

* * *

الإبتاع والتوكيد:

عرفت العربية صوراً مختلفة للتوكيد، وترجم النحويون لباب مستقل في مؤلفاتهم بـ"التوكيد" أو "التأكيد"، وجعلوه قسمين: معنوياً بألفاظ محدودة معروفة،

(٩٦) الإبتاع ١٠٨.

(٩٧) المصدر السابق: ٥١.

(٩٨) الأمالي ٢/٢١٤، قال في القاموس أمر "والأصل مؤمّرة، وإنما هو للازدواج أو لغية".

(٩٩) الإبتاع ١٠٥.

(١٠٠) اللسان ملأ.

ولفظياً: وهو تكرار اللفظ بنفسه أو بمرادفه. قال ابن مالك: "وهو أن يعاد اللفظ بعينه مجرداً أو مقروناً بعاطف، إلا أن المقرون بعاطف مع اتحاد اللفظ قلماً يكون إلا جملة، كقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾^(١٠١)، وكقوله: ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾^(١٠٢). ثم قال: "وأكثر وقوع التوكيد اللفظي بجملة".^(١٠٣)

وقال السيوطي "والأجود مع الجملة إذا أكدت الفصل بينهما وبين المعادة بـ"ثم"... وهذا إذ لا لبس يحصل، فإن حصل لم يؤت بها".^(١٠٤) وأجاز الرضي أن يكون العطف في التوكيد اللفظي بالفاء إضافة إلى الهمزة.^(١٠٥)

وقد ربط بعض النحويين بين الإتيان والتوكيد، فذكر الرضي: "التأكيد اللفظي على ضربين: لأنك إما أن تعيد لفظ الأول بعينه نحو: جاءني زيد زيد، وجاءني جاءني زيد، أو تقويه بموازنة مع اتفاقهما في الحرف الأخير، ويسمى إتياعاً".^(١٠٦) ونقل السيوطي: قال ابن الدهان في "الغرة" في باب التوكيد: منه قسم يسمى الإتياع نحو عطشان نشطان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على ذلك كونه توكيداً للأول غير مبين معنى بنفسه عن نفسه، كأكتع وأبضع مع أجمع، فكما لا ينطق بأكتع بغير أجمع، فكذلك هذه الألفاظ مع ما قبلها، ولهذا المعنى كررت بعض حروفها في مثل حسن بسن، كما فعل بأكتع مع أجمع، ومن

(١٠١) سورة الانفطار ١٧، ١٨.

(١٠٢) سورة القيامة ٣٤، ٣٥.

(١٠٣) شرح الكافية الشافية ٣/١١٨٣، ١١٨٤، وينظر المساعد لابن عقيل ٢/٣٩٩، والتصريح للشيخ خالد ١٢٧/٢.

(١٠٤) همع الهوامع ١٧٥/٢.

(١٠٥) شرح الكافية ١/٣٣٣.

(١٠٦) المصدر نفسه.

جعلها قسماً على حدة حجته مفارقتها أكتع لجريانها على النكرة والمعرفة، بخلاف تلك وأنها غير مفنقرة إلى تأكيد قبلها بخلاف أكتع. قال: والذي عندي أن هذه الألفاظ تدخل في باب التأكيد بالترار... وقال قوم: هذه الألفاظ تسمى تأكيداً وإتباعاً. وزعم قوم أن التأكيد غير الإتياع، واختلف في الفرق، فقال قوم: الإتياع منها ما لم يحسن فيه واو، نحو حسن بسن، وقبيح شقيح، والتأكيد يحسن فيه الواو نحو: حِلٌّ وِبِلٌّ". (١٠٧)

ويظهر من كلام النحويين اشتراطهم أن يكون التوكيد اللفظي بلفظ المؤكد أو بمرادفه وأنه يجوز العطف بين المؤكد والمؤكد إذا كان جملة بغير الواو.

أما ما رواه اللغويون من ألفاظ، وما نصوا على أنه من التوكيد - ليفرقوا بينه وبين الإتياع، وليقيدوا الإتياع - فمنه ما يتفق مع التوكيد النحوي:

قال الفراء: "يقال: رجل صَيَّاح تَيَّاح، قال: والتياح والصياح واحد." (١٠٨)

وقال أبو زيد: إنه لقليل حقير، وقيل، حَقِر، والحقير والحَقِر واحد: وهو الصغير،
الذليل". (١٠٩)

ويقال: ضَبَّ سَبْحُل رِيْحُل: وكلاهما الطويل الضخم". (١١٠)

ويقال: "إنه لمضيع مشيع: إذا كان يضيع ماله ويشيعه في الناس". (١١١)

ويقال: "جاءنا واحداً فارداً، وهما واحد." (١١٢)

(١٠٧) المزهر ١/٤٢٤.

(١٠٨) الإتياع ٣٣.

(١٠٩) المصدر نفسه ٣٩.

(١١٠) المصدر نفسه ٤٩.

(١١١) المصدر نفسه ٦٠.

(١١٢) المصدر نفسه ٧٠.

وكلّ ما سبق تأكيد نحوي، وهو يوافق تماماً ما اشترطه النحويون في التوكيد. ولكن كثيراً ممّا ورد في التوكيد اللغوي ليس موافقاً للتوكيد النحوي، إمّا لأن اللفظ الثاني - التابع أو المؤكّد له معنى مختلف عن الأول، أو لوجود الواو بينهما:

ففي إتباع أبي الطيب ممّا عدّه توكيداً: "قرّ وله كصيص وأصيص وبصيص من الفرع، وكلّه بمعنى الصوت الضعيف." (١١٣)

ويقال "هو يحقّنا ويرقّنا: أي يعطينا ويميرنا" (١١٤)

ويقال: "بفية التراب والكباب، والكباب هو التراب بعينه." (١١٥)

وممّا يختلف فيه معنى التابع قولهم: "ما له جرب وحرب، من الحرب." (١١٦)

ويقال: "إنه لساغب لاغب، والساغب: الجائع، واللاغب: المعيب." (١١٧)

ويقولون: "رجل أيمان عيمان، والأيمان: الذي ماتت امرأته، والعيمان: الذي هلكت إبله فهو يعام إلى اللبن، أي يشتهيهِ." (١١٨)

ويقال: "ما له ثلّ وغلّ: إذا دعي عليه بالهلاك، فقولهم: ثلّ من الثلّ: وهو الهلاك، وغلّ من الغلة: وهو العطش." (١١٩)

ويقال: "بلد عريض أريض، فالعريض الواسع، والأريض الحسن النبات." (١٢٠)

(١١٣) - (١٢٠) ينظر الإتباع - الصفحات ٢١، ٤٨، ٧٤، ٣٨، ٨٠، ٦٤، ٦٩، ١٠، على التوالي.

وعبارات كثيرة صنفها المؤلف - أبو الطيب- في باب التوكيد لا يتوافر فيها ما تقدم من شروط التوكيد اللفظي كما عرضه علماء العربية، وقد رأيت أن المقصود هنا نوع آخر من التوكيد، وهو تقوية المعنى، ويضاف هذا إلى أساليب التوكيد الكثيرة المعروفة في العربية.

الإتباع والترادف:

الترادف في اللغة: دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد، وبين علماء العربية خلاف: أتدل الألفاظ المختلفة على الشيء الواحد باعتبار واحد أم باعتبارات مختلفة^{(١٢١)؟}

وقد فرّق الباحثون بين الإتباع والترادف، فالمترادفان يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، أما التابع فلا يفيد معنى وحده.^(١٢٢)

قال ابن النجار: "ولا ترادف في نحو شَدَّرَ مذر على الصحيح، لأنّ الذي بعد الأول تابع لا يفيد شيئاً غير التقوية، وشرط الترادف أن يفيد أحد المترادفين لو انفرد، لأنه مثل مرادفه في الرتبة."^(١٢٣)

والذي عليه الألفاظ الإبتاعية بمعناها الواسع - إتباعاً أو توكيداً - يكشف وجود كثير من المرادفات عدت إتباعاً، وقد نقلنا أمثلة منها في الصفحات السابقة عند حديثنا عن التوكيد، وذلك أن يكون الثاني مرادفاً للأول.

والباب الذي عقده القالي للإتباع استند فيه إلى تقسيم التابع إلى قسمين: ما يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به توكيداً، وضرب يكون فيه الثاني مخالفاً للأول.

فمن ذلك: "أشِرَ أفر، فالأشِر: البَطْر المرح، وكذلك الأقر عند ابن الأعرابي."^(١٢٤)

(١٢١) ينظر المزهري ٤٠٢/١ وما بعدها.

(١٢٢) ينظر المحصول ٣٤٨/١، والمزهري ٤٠٢/١.

(١٢٣) شرح الكوكب المنير ١٤٣/١.

ويقولون: "ضشيل، بئيل، فالبئيل هو الضئيل".^(١٢٥). ويقولون: "مضيع مسيع، والإساعة: الإضاعة"^(١٢٦)

ويقولون ممّا أوردنا من الأمثلة وممّا في كتب الإتياع ومصادره تظهر لنا أن من ألفاظه ما جاء مرادفاً لمتبوعه - سواء أعدّ ذلك من الإتياع أو التوكيد.
الإتياع والإبدال:

الإبدال في اصطلاح اللغويين: إقامة حرف مكان حرف في موضعه، أو اتفاق الكلمتين في جميع الحروف عدا حرفاً واحداً، مع تناسب المعنى بين اللفظين، كمدح ومدّه، وجثا وجذا، ويكثر أن يكون الحرفان المبدلان ممّا تقارباً صفة أو مخرجاً، وقد يقع الإبدال في غير المتقاربين.

وعلاقة المبحث بالإتياع أنّا وجدنا ألفاظاً ذكرها العلماء في الإتياع وهي ممّا يُعدّ من الإبدال أو العكس:

وهذه نماذج لذلك نبدأها بما ذكر أبو الطيب في كتابه "الإبدال" - وهو أوسع كتب العربية في هذا الموضوع، ونجد الألفاظ أنفسها في كتابه الإتياع:

أورد المؤلف في إبداله: "رجل ضئيل بين الضآلة، وبئيل بين البآلة"^(١٢٨)، واللفظ عينه مذكور في إتياعه، وذكره غيره من المؤلفين^(١٢٩)، وكونه من الإبدال بعيد لتباعد الضاد عن الباء مخرجاً ولاختلافهما صفات، ولكن لاتفاقهما معنى جعلاً من الإبدال.

(١٢٤) الأمالي ٢/٢١٥.

(١٢٥) المصدر السابق ٢/٢١٤.

(١٢٦) المصدر السابق ١/٢١٥.

(١٢٧) ينظر كتابنا ظاهرة الإبدال اللغوي ١١ وما بعدها.

(١٢٨) الإبدال لأبي الطيب ١/١٣.

ومنه ما ذكر في الإبدال عن الفراء: "أقلت وله بصيص وكصيص"^(١٣٠)، على أن الباء والكاف مبدل أحدهما من الآخر، وهو بعيد كسابقه، ثم إن المؤلف ذكره في كتابه الإتياع - قسم التوكيد.^(١٣١)

وفي إبدال الذال والميم - على ما بينهما من اختلاف مخرجاً وصفات - ذكر المؤلف: "رجل مهذار، ورجل مهمار: إذا كان كثير الكلام، وهو يهذر في كلامه ويهمر"^(١٣٢)، وفي الإتياع: "ويقال: إنه لهذر مذر. والهذر: الكثير الكلام."^(١٣٣) وفي الإبدال بين السين والهاء - وما أبعد حدوث ذلك - أورد أبو الطيب: "السَّمْع والهَمَلْع: الذئب"^(١٣٤)، وأورده في إتياعه من التوكيد، كما ذكره القالي في الإتياع.^(١٣٥)

وفي إبدال السين والعين نقل أبو الطيب عن اللحياني: لا آتيك سجيس الدهر، وعجيس الدهر، أي آخر الدهر.^(١٣٦) وأورده ابن فارس في الإتياع والمزوجة عن الأصمعي، وقال: والعجيس: تأكيد وهو في معنى الآخر.^(١٣٧) ومما جاء في الإبدال لابن السكيت: عن الفراء: ذهب القوم شذر مذر، وشذر بذر، وشذر مذر: إذا تفرقوا.^(١٣٨) وهو مما يروى في الإتياع.^(١٣٩)

(١٣٠) الإبدال ٣٤/١.

(١٣١) الإتياع ٢١.

(١٣٢) الإبدال ٢٦/٢.

(١٣٣) الإتياع ٨٦، والأمالي ٢١٥/٢.

(١٣٤) الإبدال ٢١٢/٢.

(١٣٥) الإبدال والمزوجة ٤٩.

(١٣٦) القلب والإبدال ١٣.

(١٣٧) الإتياع ٨٧.

ونقل ابن السكيت في إبدال الباء والميم كسابقه: يقال: مهلا وبهلا في معنى واحد، وعن أبي عمرو أن مهلا وبهلا إتباع.^(١٤٠)

وفي إبدال الهمزة والعين - وإبدالهما كثير في اللغة- "الفراء: يقال: يوم عكّ، ويوم أك من الحرّ.^(١٤١) وهو في الإتياع^(١٤٢) وكذلك: ذهب القوم عباديد وأباديد، وعباديد أباديد^(١٤٣) وهو ما أورده أبو الطيب في الإتياع.^(١٤٤)

وهذه نماذج مما ورد في العربية مختلفاً فيه بين الإبدال والإتياع وتنبّع هذا البحث يُظهر كثيراً من الخلط بينهما، كما يبين عن التوسع الواضح في الإتياع، وأن علماء العربية حشروا في الإبدال ما ليس منه، وأن المصطلحات ليست واضحة المعالم تماماً.

من أمثلة الإتياع

نقدم هنا بعض العبارات الإتياعية، ونبين آراء العلماء فيها واختلافهم في تفسيرها فمن ذلك: هو في حلّ وبلّ "وللعلماء في هذه العبارة أقوال وآراء في تفسيرها: فقد سبق رأي أبي عبيد في إخراجها من الإتياع وعدّها جملة جديدة لمكان الواو، ونقل في الصحاح- بلّ كلام أبي عبيد، أما ابن فارس فاقصر على القول: "وهو حلّ وبلّ أي مباح وذكرها أبو الطيب في قسم التوكيد من كتابه، وابن دريد جعلها إتياعاً يجوز أن يفرد^(١٤٥).

(١٤٠) القلب والإبدال ١٦.

(١٤١) المصدر السابق ٢٣.

(١٤٢) الإتياع: ٨.

(١٤٣) القلب والإبدال ٢٣.

(١٤٤) الإتياع: ١١.

(١٤٥) ينظر: الجمهرة ٣/٤٣٠، والإتياع ٢٣ والإتياع والمزوجة ٦٢ والصحاح - بل.

ومثل ما سبق قولهم: "حيّك الله وبيّاك"، فمما قيل في معنى بيّاك - ما سبق من إنكار الإتياع فيها عند أبي عبيد لأنها بالواو، وأما أبو الطيب فجعلها توكيداً، ولم يبين ابن فارس موقفه من العبارة وهي عند ابن دريد إتياع يجوز إفراده^(١٤٦)

ويقولون: عريض أريض، فأبو الطيب يجعلها توكيداً، ويوردها القالي ويفسر الأريض بمعنى الخلق للخير الجيد للنبات. وابن فارس - كما يغلب على الكتاب - لا يذكر شيئاً عنها، أما ابن دريد فأدخلها في الإتياع الذي يفرد. وقال في الصحاح: وشيء أريض عريض إتياع له، وبعضهم يفرده ويقول: جدي أريض: أي سمين^(١٤٧).

ومن الإتياع عند أبي الطيب: رجل حاذق باذق ومثله في الصحاح، وقال في الأمالي: فباذق يمكن أن يكون لغة في "باتق" كما قالوا: قرّب حثاث وحذاحذ^(١٤٨)، ونبیثة ونبیذة: لتراب البئر، فكأن الأصل - والله أعلم - أن رجلاً سقى فأجاد وأكثر، فقل: حاذق باذق أي حاذق بالسقي باتق للماء^(١٤٩).

ومن ذلك ما جاء في الصحاح: "ورجل نادم سادم، ونَدَمَان سَدَمَان، ويقال: هو إتياع له." : "سادم نادم" وهو من التوكيد عند أبي الطيب: "نادم سادم."^(١٥٠) وفي الأمالي: "ويقولون خَزَيَان سَوَان" فسوّان مأخوذ من قولهم: سَوَاءٌ سَوَاءٌ: أي أمر قبيح...".

(١٤٦) ينظر الجمهرة ٣/٤٣٠، والإتياع ٢٤ والإتياع والمزوجة ٦٩.

(١٤٧) الجمهرة ٣/٤٣٠ والأمالي ٢/٢١٢ والإتياع ١٠ والإتياع والمزوجة ٥٢.

(١٤٨) القرب: سير الليل، والحذاحذ: السريع.

(١٤٩) الإتياع ٢٠ والأمالي ٢/٢١٧، والصحاح حذق.

(١٥٠) الإتياع ٥٤ والأمالي ٢/٢١٨ والصحاح - سدم.

وهو في الجمهرة من الإتياع الذي لا يفرد، على أنه من التوكيد عن أبي الطيب. (١٥١)

ومن الإتياع عند أبي الطيب: مائق دائق من قولهم: رجل مدوّق أي محمّق، والدوّق: الحمق، وكذلك الموقّ، ويقال ماق الرجل، يموق موقاً. ثم قال: ولا يتكلم بالدائق مفرداً. ويقال: إنه ليموق مواقة، ومؤوقاً، وداق يدوق دواقة ودوّوقاً أيضاً. وقال ابن فارس: هو مائث دائق - إتياع".

وهو في الجمهرة مما لا يفرد (١٥٢)

ونختم هذه الأمثلة بما نقل أبو الطيب في الإتياع: ويقال: إنه لخاسر دابر، وخَسِرَ ودَبِرَ، وما له خَسِرَ ودَبِرَ. ثم قال: في باب التوكيد: أنه لخاسر دامر، الدامر: الهالك... وإنه لَخَسِرَ دَمِرَ، فإذا قلت: خاسر دابر بالباء فلا وجه له إلا أن يكون إتياعاً، أو تكون الباء مبدلة من الميم (١٥٣).

وبعد، فهذا فنّ من فنون العربية، وياب من أبوابها الطريفة، استعمله فصحاء العرب توكيداً للكلام وتزييناً، وقد أوجزنا الحديث فيه، وعمّا يتعلّق به من المباحث اللغوية، أملين أن نكون قد وفّقنا فيما قصدنا، نسأل الله المزيد من فضله، والواسع من غفره وعفوه.

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين

(١٥١) الجمهرة ٤٢٩/٣، والإتياع ٥٢ والأمالي: ط/٢١٢.

(١٥٢) الجمهرة/ ٤٣٠، والإتياع ٤٢ والأمالي ٢/٢١٥ والإتياع والمزاوجة ٥٩.

(١٥٣) الإتياع ٤٣-٤٥، وينظر: الأمالي ٢/٢١٨ والإتياع والمزاوجة ٤٥.

مراجع البحث

- القرآن الكريم.
- الإبدال - لأبي الطيب اللغوي الحلبي - تحقيق عز الدين التتوخي - مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٨٠هـ.
 - الإبتاع - لأبي الطيب اللغوي - تحقيق عز الدين التتوخي - مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٨٠هـ.
 - الإبتاع والمزاوجة لأحمد بن فارس بعناية كمال مصطفى - مطبعة الخانجي - القاهرة ١٩٤٧م.
 - ونسخة مخطوطة عن تشستريتي ٤٦٢٤.
 - الأمالي - لثعلب أحمد بن يحيى، تحقيق عبدالسلام هارون - مكتبة المعارف - القاهرة ١٩٤٨م.
 - الأمالي - لأبي علي القالي - مطبعة بولاق - القاهرة ١٣٢٤هـ.
 - جمهرة اللغة - لابن دريد - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٤٥هـ.
 - الزاهر في معاني كلمات الناس - لأبي بكر بن الأنباري - تحقيق د. حاتم صالح الضامن - دار الرشيد - بغداد ١٣٩٩هـ.
 - سير أعلام النبلاء - للذهبي، الجزء الثامن - تحقيق نذير حمدان - مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
 - شرح الكافية - للرضي الأسترابادي - مصورة عن طبعة الآستانة ١٢٧٥هـ.
 - شرح الكافية الشافية - لابن مالك - تحقيق د. عبدالمنعم هريدي، مركز البحث العلمي. جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠٢هـ.

- شرح الكوكب المنير في أصول الفقه - لابن النجار - تحقيق د. محمد الزحيلي، و د. حماد. مركز البحث العلمي - مكة ١٤٠٠هـ.
- الصحابي في فقه اللغة لابن فارس - تحقيق السيد أحمد صقر - مكتبة عيسى الحلبي - القاهرة ١٩٧٧م.
- الصحاح - للجوهري - تحقيق أحمد عبدالغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت ١٣٩٩هـ.
- ظاهرة الإبدال اللغوي، د. علي حسين البواب، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- العين للخليل بن أحمد، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، و د. مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١م وما بعدها.
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٨٤هـ.
- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مخطوطة مصورة، جامعة الإمام، ف ٣٢٤.
- الفاخر، للمفضل بن عاصم، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الفهرست، لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، المكتبة الأسدية، طهران ١٩٧١م.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، المطبعة المصرية، القاهرة ١٩٣٥م.
- القلب والإبدال، لابن السكيت (ضمن الكنز اللغوي) تحقيق أوغست هفتر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٣م.
- الكتاب، لسيبويه، بولاق، ١٣١٦هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت.

- المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين الرازي، تحقيق د. طه جابر العلواني، مطبوعات جامعة الإمام، الرياض، ١٣٩٩هـ.
- المخصص، لابن سيده الأندلسي، المكتب التجاري، بيروت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جادالله وزميله، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٨م.
- المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٧٠م.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٢م.
- همع الهوامع، للسيوطي، دار المعرفة، بيروت.